

التبيان في تفسير القرآن

(439) الكفار " لسنة ا [تبديلا " أي لا يغير ا [عاداته من عقوبة من جحد ربوبيته " ولن تجد لسنة ا [تحويلا " ولا يبدلها بغيرها ، فالتبديل تصير الشئ مكان غيره ، والتحويل تصير الشئ في غير المكان الذي كان فيه ، والتغيير تصير الشئ على خلاف ما كان. ثم قال " اولم يسيروا في الارض " يعني هؤلاء الكفار الذين انكروا إهلاك ا [الامم الماضية. أما ساروا في الارض " فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا " أولئك " اشد منهم " من هؤلاء " قوة وما كان ا [ليعجزه من شئ " إذ لم يكن يفوته شئ " في السموات ولا في الارض انه كان عليما " عالما بجميع الاشياء * (قدير) * قادرا على مالا نهاية له ، ويقدر على اجناس لا يقدرون عليها. ثم اخبر تعالى ممنا على الناس بتأخير عقابهم بان قال * (ولو يؤاخذ ا [الناس بما كسبوا) * أي جزاء على معاصيهم عاجلا * (ما ترك على ظهرها) * ظهر الارض * (من دابة) * ندب على رجليها * (ولكن يؤخرهم إلى أجل) * يعني إلى الوقت المعلوم الذي قدره لتعذيبهم * (فاذا جاء أجلهم) * يعني الوقت المقدر المعلوم * (فان ا [) * تعالى * (كان بعباده بصيرا) * أي عالما بأحوالهم لا يخفى عليه شئ منها فيجازي كل انسان على قدر فعله من طاعة او معصية ، والضمير في قوله * (على ظهرها) * عائد إلى الارض وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام عليه ، لانه معلوم أنهم على ظهر الارض دون غيرها ، على أنه قد تقدم قوله * (أو لم يسيروا في الارض) * وفي قوله * (إن ا [يمسك السموات والارض) * فيجوز أن يرد الكناية اليها .